Research Africa Review Vol. 1 No. 1, June 2017

These reviews may be found on the *RA Review* website at:
https://sites.duke.edu/researchafrica/ra-reviews/vol-1-no-1/

ولاء صابر البوصاتي: أفارقة و عرب في ثورة زنجبار.القاهرة: مكتبة جزيرة الورد، 2016

بقلم د. أمباي بشير لو، Mbaye Lo, Duke University

اتسمت الإنسانيات العربية الحديثة بسمتين أساسيتين هما : السطحية من حيث الطرح القائم على نقل المتون حرفياً أو مترجمة ، والمؤامراتية من حيث الحكم التهجمي على الآخر .وبالأخص اتهام الآخر بالانتماء إلى الغرب ومآلاته الثقافية .

وقد تكون لهذه السمات أسباب موضوعية كالاجترار الثقافي المتمثل في غياب الابداع الفكري والاعتماد الشكلي على جمال اللغة العربية لتفادي المضمون الفكري . وقد تكون الأسباب عائدة إلى مناح سياسية دونية ككون المنطقة العربية مرتعا لمطامع الاستعمار الغربي قديمه وحديثه .

ومن السبب الأول نتج الانفعال عبر الكلمات والألفاظ على حساب المنطق والعقلانية ؛ ومن نتاج الثاني تغييب المسؤولية (individual agency) على مستوى الأفراد والجماعاتز. فأصبح الإنسان في هذا الإطار الأخير مُعَرىً من كيانه الفردي مجردا من أدنى مسؤولية التحكم على وجوده في هذا الكون . والحالة الثانية هذه تخلق جواً مفعماً بعبارات التخوين والتكفير والتجريح .

والكتاب الذي نحن في صدد مراجعته يمثل نموذجا مثقلا بهذه التبعات ؛ فالكاتبة تتناول أحد أهم المنعطفات في تاريخ الشرق الافريقي القديم وهي ثورة زنجبار عام 1964. ومع أن هذه الثورة مسلمٌ بها في معظم الدراسات العلمية تاريخا كانت أو سوسولوجية بأنها ثورة ضد الجور والتسلط تأبى الكاتبة إلا أن تتهم الاستعمار ليس فقط بترتيب مجرياتها "بل في تأصيل أفكاره الخاصة بتقسيم افريقيا إلى قسمين عربي شمال الصحراء . يحتد فيها الافريقي ضد العربي لتصوره أنه كان سببا في مشكلاته ؛ وأنه هو من استرقه وتاجر به" (ص 9).

وغني عن البيان أن هذا النفث العاطفي خطأ في مبناه ومعناه، فالتقسيمات الجغرافية للقارة الافريقية كانت موجودة قبل مجيئ الاستعمار في القرن التاسع عشر، بل و قبل الاكتشافات الجغرافية الأوروبية في القرن السادس عشر. فالمؤرخون من رحالات العرب والمسلمين من البكري للمسعودي وابن بطوطه وغيرهم تحدثوا عن التقسيمات العربية لإفريقيا دون الصحراء وما بعدها. ولا يخفى على القارئ المدقق أن ابن خلدون في مقدمته استخدم العرق والدين كمدخل لفهم مكونات المنطقة الافريقية.

أضف إلى ذلك أن الرق والاسترقاق لم يكن تهمة اختلقها الغرب في وسم علاقة افريقيا بالعالم العربي بل كانت ظاهرة اجتماعية واقتصادية . أشكلت تطور المجتمع المدني الحديث في أماكن التداخل العرقي بين المجموعتين ؛ كما هو الشأن في تشاد وليبيا والنيجرو السودان وحتى موريتانيا. مثل هذه التعميمات ذات الصدى المؤامراتي زخرفت جوانب كثيرة من الكتاب مما جردته من الموضوعية البحثية . ومثل ذلك قول الكاتبة :" رغم ما أوتيت زنجبار من قوة إلا أنها كانت عِثرة الحظ مثل بقية بلدان القارة الافريقية التي بليت بالاستعمار" (ص 12).

والاشكالية النقدية هنا ليست في التقليل من شأن الاستعمار، بل تكمن في أن الاستعمار كان ظاهرة عالمية . فمعظم دول العالم خارج القارة الأوربية كانت في يوم من الايام مستعمرة أو محتلة من قبل القوى الغربية . بما فيها الصين وكوريا الجنوبية وماليزيا .إذن هذا التخصيص لا محل له في التحليل العلمي إلا لإيثار العاطفة وتكرار المنقول اللاعلمي .

وجملة قول المؤلفة في الكتاب تتلخص في تجريد الحدث الثوري هذا من أية ديناميكية داخلية عبر توظيفه في تطورات السياسة الاقليمية والعالمية بما فيها السياسة المصرية في عهد جمال عبد الناصر(1918 1970) ؛ أو بعبارة أخرى قامت الكاتبة بتفريغ

نضوج وتطور القوى الداخلية الزنجبارية من كل وزن أو معنىً والاعتماد الكلي على القوى الخارجية باعتبارها الفاعلة الموجهة لثورة الأهالي على الاقطاعية الاستبدادية التي تشبثت بالجزيرة منذ أن نقل السلطان العماني سعيد بن سلطان مقر حكمه في عمان من مسقط الى المدينة القديمة في زنجبار عام 1840.

والحقيقة تقال بأن هذه السطحية في التحليل تخالف كل الدراسات الموثقة في الموضوع ؛ فثورة زنجبار شبيهة بثورات الأهالي ضد الجور في جنوب افريقيا وزمباوبي و غيرها في المنطقة الجنوبية . فهي جزء من الثورات التي مثلتْ سلسلة من حركات الاستقلال في افريقيا.

فالمجموعات العرقية من عرب وهنود وكيسواحليين وقمريين والمحليين المعروفين بالافريقيين واجهوا اشكالية العيش المشترك تحت الاقطاعية العمانية المالكة. هناك دراسات مقدرة في هذا المنحى ؛ فأعمال الأستاذة جبورة أموري Deborah Amory (1994) ركزت على دور الانتماءات الجهوية في تأجيج الصراع وتعجيل الثورة .وهناك أيضا أعمال الاستاذ جورج كليت George Triplett (1971) التي ركزت على عامل عدم المساواة و فقدان العدالة الاجتماعية كدافع أساسي لهذه الثورة . وقد قامت لورا فير Laura Fair (2001) بالتدقيق في تطور ثقافة زنجبار من قبل الثورة ومن بعدها محللة دور الثقافة الاقتصادية والتهميش في نجاح الثورة ، وكذلك قام بروفسور Frederick Cooper (1987) ببناء هرمٍ من المراجع التاريخية التي تؤكد دور معارضي الرق والاسترقاق في نجاح الثورة والانقلاب ضد الطبقة البرجوازية المتسلطة .

ومع سوء الحظ لم تتعرض الباحثة لأية من هذه المصادر الشامخة في دراستها لهذه الثورة ، وحتى إحدى المراجع الأساسية وهي سيرة جون أوكيلو، رائد الثورة، و المعروفة ب Revolution in Zanjibar (1967) لم تتعرض لها الكاتبة بقراءة تحليلية متأنية تستحقها مقام هذه الوثيقة الأولية التاريخة ، بل مع سوء الحظ ، ذكرتها الكاتبة كمرجع ضمن المراجع القيمة التي تقبع في قائمة مراجع الكتاب دون توظيفها في توجيه البحث.

وختاما يجدر بنا أن نشكر للكاتبة جهودها واهتمامها بالموضوع. فبقدر ما نعاف منهجهاالبحثي وتساهلها في تحليل الحوادث و توظيف النصوص، نقدر اختيارها لهذا الموضوع العويص. فعلّ هذه الدراسة تفتح باباً كان موصداً لحقب ما في الدراسات الاجتماعية العربية التي في معظمها لا تتعدى السودان و أخواتها كنموذج لها في دراسة علاقة العرب بإفريقيا. فأماكن التلاقح الثقافي في شرق افريقيا ووسطها وغربها تجود بمواد علمية حية يمكن تسخيرها لفهم مشاكل المجاورة والمواطنة التي أرهقت عاهل الدولة الوطنية المعاصرة في مالي والنيجر والسودان .

وغنيٌ عن التعبير أن مثل هذه الدراسات لا تؤتي ثمارها إلا إذا وضعت في إطار الدراسات المقارنة ذات الطابع العالمي. فقد حان الأوان ليدرس أفريقيا بمنظار علمي عملي يتعطى معه الوصول الى نتائج نافعة في حل مشاكل القارة المعاشة. وليس عندي شك في أن عبقرية ناشري هذا الكتاب بمركز البحوث العربية والافريقية بالقاهرة وعلى رأسه بروفسور حلمي شعراوي لعلى دراية بهذه الاشكاليات المنهجية.

References

Amory, Deborah. 1994. *The politics of identity on Zanzibar*. Unpublished PhD dissertation. Stanford: Stanford University.

Cooper, Frederick. 1987. *From Slaves to Squatters: Plantation Labor and Agriculture in Zanzibar and Coastal Kenya, 1890-1925*. New Haven, CT: Yale University Press.

Fair, Laura . 2001. *Pastimes and Politics: Culture, Community, and Identity in Post-Abolition Urban Zanzibar, 1890-1945*. Athens, OH: Ohio University Press.

Triplett, George W. 1971. 'Zanzibar: The Politics of Revolutionary Inequality.' In *The Journal of Modern African Studies* 9(4): 612-617, December.

Research Africa
Copyright © 2017 by Research Africa, (research_africa-editor@duke.edu), all rights reserved. RA allows for copy and redistribute the material in any medium or format, provided that full and accurate credit is given to the author, the date of publication, and the location of the review on the RA website. You may not distribute the modified material. RA reserves the right to withdraw permission for republication of individual reviews at any time and for any specific case. For any other proposed uses, contact RA's Editor-in-Chief. The opinions represented in the reviews and published on the *RA Review* website are not necessarily those held by RA and its Review editorial team.

.